هل تنبأ المسيح بصلبه؟
قراءات نقدية في نبوءات الأناجيل

د.عبد الحكيم فرحات
أستاذ محاضر في المسيحية
جامعة باتنة

يعد صلب المسيح عقيدة مسيحية محورية تبني عليها العديد من المفاهيم المسيحية، كمفهوم الفداء ومفهوم الخلاص، وغيرها[1]. وهذا ما جعل القديس يوحنا يهتم بأحداث صلب المسيح أكثر من غيره[2]، مبرزا تفاصيله التاريخية ودلالاتها العقدية وأبعادها الإيمانية، لتتبلور بذلك واقعة الصلب بمدد من التأويل فتصير عقيدة محورية، تجعل منه غاية لمجيء المسيح إلى هذه الدنيا، وسبب التجسد الإلهي في يسوع ابن الإنسان، ومقصد اتضاعه[3]، ووظيفة كهنوتية أداه المسيح بصبر بالغ، كفارةً عن خطايا الإنسان[4].

و لئن صح القول إن المسيحية هي المسيح نفسه، فإنه حري أن يصح القول إن المسيح هو الصلب، و هذا ما يعني أن المسيحية هي الصلب ذاته.

ولما كان لواقعة صلب المسيح بهذا الشأن قد تفنن النقاد في دراسة صلب المسيح، بين محقق في اختلاف الأناجيل الأربعة[5]، وناظر في حيثيات واقعة الصلب للتأكد من سلامته وإثبات عدم إمكانها[6]، وبين مقارن بين نبوءات العهد القديم حول المسيح و ماجريات واقعة الصلب[7]، ولكل شغل واهتمام[8]، انطلقت جميعها من نصوص العهد الجديد لتنتهي إلى نسف واقعة صلب المسيح كما يعرضها العهد الجديد[9].

ولا يخفى أن القول بأن المسيح عند المسيحيين من مختلف الفرق هو الصلب، يجعلنا نفترض أن المسيح قطع بهذا في رسالته، وأسس له تأسيسا، لا يمكن لأحد أن ينكره. بينه بأقواله، وعلمه لاتباعه، وكشف لهم حجب دلالاته، وأوحى إليهم في نبواءته التي تبلورت فصارت أناجيل عند النصارى، و أوضحه في نبوءاته التي لا تخيب أبدا، سيما وهو ابن الله العلي في تصورهم. فهل كان هذا فعلا؟ هل بين المسيح أنه حتما سيصلب، وأن صلبه سيكون فداء للبشرية وكفارة لهم؟ هل فهم عنه أصحابه الحواريون هذه المعاني؟ هل وعوها كما يطرحها الفكر المسيحي المدرسي الكلاسيكي والحديث؟

إن هذه التساؤلات تؤسس إشكالية هذه البحث، وتقتضي منه مسلكا نقليا، يعتمد أقوال المسيح كما ترويها الأناجيل القانونية الأربعة، نستمد من أقوالها، وننهل من دلالاتها، موظفين مبادئ التفسير الموضوعي، وقواعد التحليل اللساني، عبر تناول المباحث التالية الذكر:

1. الصلب و نبوءات المسيح في الأناجيل الأربعة:

2. ابن الإنسان: من هو؟

أولا: الصلب و نبوءات المسيح في الأناجيل الأربعة:

وردت قصة المسيح في الأناجيل الأربعة، كما وردت فيها أحداث الصلب، تخللتها أقوال متفرقة للمسيح ينبئ فيها عن ضرورة وقوع الصلب، تكررت ثلاث مرات على أقل تقدير، لم يصرح فيها مرة واحدة أنه سيصلب، وإنما استخدم صيغة الغائب المقيدة ((بابن الإنسان))،في جل كل المواضع[10]. ولم ترد بصيغة المتحدث إلا مرتين، مرة في يوحنا، ومرة أخرى في متى،كما يلي:

1 - رواية يوحنا: روى يوحنا في إنجيله: ((الآنَ وَقْتُ الْحُكْمِ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ! الآنَ يُطْرَدُ سَيِّدُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً! وَحِينَ أُعَلَّقُ مَرْفُوعاً عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ))[11]، فقد أسند في قوله ((أُعَلَّقُ مَرْفُوعاً))التعليق لنفسه، ليصير بذلك هو المصلوب.

2 - رواية متى: روى متى في إنجيله ما نصه: ((مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، بَدَأَ يَسُوعُ يُعْلِنُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَيَتَأَلَّمَ عَلَى أَيْدِي الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقَامُ. فَانْتَحَى بِهِ بُطْرُسُ جَانِباً، وَأَخَذَ يُوَبِّخُهُ، قَائِلاً: حَاشَا لَكَ يَارَبُّ أَنْ يَحْدُثَ لَكَ هَذَا!، فَالْتَفَتَ يَسُوعُ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالَ لَهُ: اغْرُبْ مِنْ أَمَامِي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ عَقَبَةٌ أَمَامِي، لأَنَّكَ تُفَكِّرُ لاَ بِأُمُورِ اللهِ، بَلْ بِأُمُورِ النَّاسِ!))[12]، حيث استخدم ((أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى أُورُشَلِيمَ)) بصيغة المتحدث للدلالة على أن المسيح هو الماضي وهو المصلوب؛ وهذا ما يوضح وجهة نظر متى في هوية ابن الإنسان المراد.

و ماعدا هذه الأعداد، فإن المسيح كان يتنبأ دوما عن ابن الإنسان من غير إسناد الكلام لنفسه، ولا تعيين لشخصه، وهذا ما يدفعنا للتساؤل حول اللفظ الذي قاله المسيح بدقة؛ إذ عليه العمدة، ومنه مدد الدلالة، لا على لفظ الراوي مهما بلغت وثاقته. هل قال المسيح اللفظين معا، أم قال أحدهما وعبر الراوي بلفظه؟ ومهما يكن الاختيار فلا بد من برهان.

لما كان راويا الأعداد، متى ويوحنا ناقلين عن المسيح، تعين الاعتبار و الرجوع إلى التلامذة الأقران الذين رووا الخبر عن المسيح، لينظر هل قيل اللفظ في نفس المجلس، أم في مجلس آخر، فإن كان في مجلس واحد، يقرن اللفظ باللفظ، وينظر في الوفاق والاختلاف، وهذا ما منهج لا ينكره مدقق.

أما رواية يوحنا فيبدو أنه قد انفرد بإيراد صيغة (أُعَلَّقُ مَرْفُوعاً)في نبوءة المسيح الواردة في الإصحاح[12/31-32]، وتوظيف صيغة المتكلم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا اللفظ قد اختلفت الترجمات المسيحية المعتمدة في ضبطه، فذكرت النسخة التفسيرية من الكتاب المقدس[13] ما نصه: ((الآنَ وَقْتُ الْحُكْمِ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ! الآنَ يُطْرَدُ سَيِّدُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً! وَحِينَ أُعَلَّقُ مَرْفُوعاً عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ))[14]، وبذلك يصير المعلق هو المسيح، وأما الترجمة العربية المشتركة، فقد ضبطته ضبطا آخر، فقالت: ((اليَوْمَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ! وَالْيَوْمَ يُطْرَدُ سَيِّدُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً! وَأَنَا مَتَى ارْتَفَعْتُ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ جَذَبْتُ إِلَيَّ النَّاسَ أَجْمَعِينَ))[15]، و هذا ما يبين أن النص نبوءة عن رفع المسيح، لا عن تعليقه، وشتان بين المعنيين. وهذا ما يثبت أن اللفظة ناشئة عن الترجمة، وليست من ذات النص، كان المترجم مزج بين خبراته الخاصة، و مهمة النص.

و أما رواية متى، فبالعودة إلى رواية متى المشار إليها[16] يتبين النظر في الأناجيل المتوازية 'synoptic gospel' أن لها شاهدين، شاهد من مرقس، وآخر من لوقا، وإليك البيان:

- قال مرقس: ((وَأَخَذَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لاَبُدَّ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيَرْفُضَهُ الشُّيُوخُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ صَرَاحَةً. فَانْتَحَى بِهِ بُطْرُسُ جَانِباً وَأَخَذَ يُوَبِّخُهُ. وَلَكِنَّهُ الْتَفَتَ وَنَظَرَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَزَجَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: اغْرُبْ مِنْ أَمَامِي يَاشَيْطَانُ، لأَنَّكَ تُفَكِّرُ لاَ بِأُمُورِ اللهِ بَلْ بِأُمُورِ النَّاسِ!))[17].

- و قال لوقا: ((وَقَالَ: " لاَبُدَّ أَنْ يَتَأَلَّمَ ابْنُ الإِنْسَانِ كَثِيراً وَيَرْفُضَهُ الشُّيُوخُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقَامَ))[18].

ويتبين من مقارنة لفظ متى الآنف مع روايتي مرقس ولوقا، أنهم يتوافقونه في اللفظ تقريبا، ويخالفونه في هوية المصلوب؛ إذ متى يجعله المسيح، بينما الباقي يؤكدون أنه ابن الإنسان. ولا يخفى أن اتفاقهم في التفاصيل الكثيرة يؤكد أن متى ومرقس ولوقا رواة لرواية

واحدة حدث بها في محل واحد، وهو أمر لم يغب عن النقاد من المسيحيين في الطبعات المنقحة من العهد الجديد[19].

ولما كان متى ومرقس ولوقا رواة لقول واحد، تأكد أنهم سبب اختلاف اللفظ الوارد في نبوءة الإنجيل، وليس هو المسيح، إذ لا يتصور أن يقول الصيغتين معا. ولا شك في أن معرفة اللفظ الذي استخدمته النبوءة من الأهمية بمكان، إذ عليه العمدة في تحديد هوية الذي سيذهب إلى أورشليم، ويصلب و يقتل، ولذا تعين التحقيق والتمحيص لتحديد اللفظ الذي استخدمه المسيح.

إن اختلاف لفظ الروايات يحتاج إلى تحري القرائن، والبحث في الدلائل، لترجيح لفظ على لفظ، بالرجوع إلى مختلف الشواهد[20]، والنصوص الموازية، والسياقات الإنجيلية المعضدة.

أقول: إن المدقق في القرائن الروائية والسياقية في الأناجيل الأربعة لا يلبث أن يسلم بأن اللفظ الراجح هو ((ابن الإنسان))، وليس غيره، لاحتفاف هذا الاختيار بالعديد من القرائن، وهي:

1. **قرينة الكثرة**: خالف لفظ متى لفظ رواية الكثرة الموثقة عند أصحابها؛ أي مرقس ولوقا، ولذلك تصير روايتهم ثابتة لما وثقوهم، بينما روايته شاذة باصطلاح المحدثين، إذ الكثرة مظنة الحفظ والاتقان، وليس كذلك القلة.

2. **قرينة السؤال**: روي يوحنا أن الناس في زمن المسيح احتاروا في تحديد هوية المصلوب في نبوءات المسيح، ولذلك فقد سألوه أن يوضح لهم من هو المراد، فقالوا: ((علمتنا الشَّرِيعَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى حَيّاً إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ لاَبُدَّ لابْنَ الإِنْسَانِ أَنْ يرْتَفِعَ؟ مَنْ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «سَيَبْقَى النُّورُ مَعَكُمْ وَقْتاً قَلِيلاً. فَامْشُوا مَادَامَ النُّورُ لَكُمُ النُّورُ، لِئَلاَّ يُبَاغِتَكُمُ الظَّلاَمُ، و الَّذِي يَمْشِي فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. آمِنُوا بِالنُّورِ مَادَامَ لَكُمُ النُّورُ، فَتَكُونُوا أَبْنَاءَ النُّورِ)) [الإنجيل، يوحنا12/27-36]، وهذا ما يدل أن الجمع لم يستطع تحديد هوية المصلوب ((مَنْ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ هَذَا؟؟؟))؛ إذ كانوا في إشكال منه، كما استنكر احتمال كونه المسيح؛ فلو صحت لفظ متى، لانتشر بين الأصحاب كما تنشر النار في القش.

3. قرينة الإبهام: يظهر من تتبع مختلف نصوص نبوءات المسيح عن المصلوب في الأناجيل الأربعة وجود دلالات تؤكد أن الرسل لم يفهموا المراد مما عناه المسيح بابن الإنسان، كما يتبادر من النصين التاليين:

1°. ((ثُمَّ انْصَرَفُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا مِنْطَقَةَ الْجَلِيلِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ، لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَيُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ، فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ قَتْلِهِ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ.))[21].

2°. ((وَبَيْنَمَا كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا عَمِلَهُ يَسُوعُ، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: لِتَدْخُلْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ آذَانَكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ عَلَى وَشْكِ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ! إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَقَدْ أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ))[22].

وهذا ما يجعلنا نجزم بأن المسيح لم يستخدم صيغة المتكلم، وإلا لما أغلق عليهم الكلام،مع أنهم أقرب الناس، وأعلم الناس برسالته ومصطلحاته، وأخبر بسياقات الخطاب ومقاماته، ويتعضد هذا بما ورد من سؤال الجمع للمسيح عن هوية ابن الذي سيصلب23. ولذلك يحق لنا النشكك فيما أورده متى من اعتراض بطرس على صلبه، ومناقشته على موت المسيح، كما يظهر من قوله: ((فَانْتَحَى بِهِ بُطْرُسُ جَانِباً، وَأَخَذَ يُوَبِّخُهُ، قَائِلاً: حَاشَا لَكَ يَارَبُّ أَنْ يَحْدُثَ لَكَ هَذَا!، فَالْتَفَتَ يَسُوعُ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالَ لَهُ: اغْرُبْ مِنْ أَمَامِي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ عَقَبَةٌ أَمَامِي، لأَنَّكَ تُفَكِّرُ لاَ بِأُمُورِ اللهِ، بَلْ بِأُمُورِ النَّاسِ))[24]، و السب نفسه يجعلنا تشكك في الحزن الذي بدا على الرسل لما علموا بمصير المسيح[25]، إذ أن هذا يتعارض مع ما ذكره مرقس ولوقا في إنجيليهما من عدم فهم الرسل لما عناه المسيح في نبوءته، وإغلاق المراد عليهم، ويقوي هذا الرأي ما رواه يوحنا في إنجيله: ((فإِنَّ التَّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا حَتَى ذَلِكَ الْوَقْتِ قَدْ فَهِمُوا أَنَّ الْكِتَابَ تَنَبَّأَ بِأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَقُومَ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ))[26].

ولا يحق لأحد هنا الادعاء بأن حوار إنجيل متى الذي تجاذب أطرافه السيد المسيح وبطرس قد تم على انفراد ، بدليل قول متى((وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ صَرَاحَةً. فَانْتَحَى بِهِ بُطْرُسُ جَانِباً وَأَخَذَ يُوَبِّخُهُ. وَلكِنَّهُ الْتَفَتَ وَنَظَرَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَزَجَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: اغْرُبْ مِنْ أَمَامِي يَاشَيْطَانُ، لأَنَّكَ تُفَكِّرُ لاَ بِأُمُورِ اللهِ بَلْ بِأُمُورِ النَّاسِ!))[27]، وهذا ما عناه أن رسل المسيح كانوا على علم؛إذ الالتفات يثبت الاختلاط لا الانفراد.

والقرائن الثلاث الآنفة، قرينة الكثرة، وقرينة السؤال، وقرينة الإبهام كافية لإثبات أن الراجح من مختلف الألفاظ الإنجيلية أن المسيح لم يقل سأصلب وسأمضي، وإنما عزا الكلام إلى ابن الإنسان، وان ما رواه متى في إنجيله هو من قبيل الرواية بالمعنى لا غير.

ثانيا: ابن الإنسان: من هو؟

تبين لنا أن المسيح في كل نبوءاته التي روتها الأناجيل تبين أن المصلوب هو ابن الإنسان من غير تحديد لهويته، فمن يكون؟ هل عينه المسيح؟ هل أدرك الأصحاب عينه؟

بادئ ذي بدء ننوه أنه يرد نص واحد يعين هوية ابن الإنسان تعيينا، يدفع أي اشتباه، وهذا ما يجعلنا ندعي أن المسيح تبعا للأناجيل القانونية ما فاته ذلك، و إنما أراده بقصد التكتم والإخفاء، ولذلك لم يبق لنا إلا التوسل بالقرائن لتحديد هوية ابن الإنسان.

لا شك في أن المعنى العام من ابن الإنسان غير مراد بدلالة السياق، إذ لا يمكن أن يتعلق الصلب والقتل بكل إنسان، والسياق قاض بأنه يريد شخصا بعينه، وبذلك تعين أن المراد هو المعنى الخاص، فمن يكون ابن الإنسان؟

لقد أطلق المسيح على المصلوب لقب ابن الإنسان، و لم يستخدم أي لقب آخر يعرف به المسيح، وهذا يجعلنا في حاجة إلى تتبع هذا اللفظ في مختلف سياقاته اللغوية، علنا نظفر بما يدلنا على هوية ابن الإنسان، وننوه هنا إلى أن عبارة ابن الإنسان اختيار ترجمة، إذ اللغة الأصلية غير العربية، وأصل الكلمة في اليونانية ولذلك فعند التتبع نختار كل المعاني الممكنة، كابن آدم ، وابن الرجل، حتى يكون تتبعنا وافيا ودالا.

ولما كان النصارى يؤمنون بالعهدين القديم والجديد، ويرون القديم منهما صنو الجديد، وتأسيسا له، و نص واحد يكمل أحدهما الآخر، ولذلك فنحن في حاجة أيضا إلى تتبع دلالات عبارة ابن الإنسان في العهد القديم للتعرف على معانيها الممكنة.

ويكاد يتفق جل النقاد المعاصرين على أن لقب ابن الإنسان الوارد في الأناجيل ترجمة للعبارة الآرمية بارناشا (*bar enash(a)*)، والتي تعني الإنسان والناس معا[28]، ويظهر من خلال البرديات التي عثر عليها في القرن الفارط أن 'ابن الإنسان' متداولة بكثرة في الآداب اليهودية السابقة للسيد المسيح والمعاصرة[29]، تغني به اليهود، وافتقدوه في ويلاتهم، أصبروا أنفسهم بقدومه ومسحوا أحزانهم بخياله[30]، فابن الإنسان يحمل معنى الخلاص الشامل، ويدل

على المنقذ المخلص المنتظر الذي سيحرر بني إسرائيل من آلامها ويحقق لها أمانيها، ويصد ويلات حكاما وطغاتها[31].

وأما في العهد القديم، فقد وردت عبارة ابن الإنسان في سياقات مختلفة، واحتفت بقرائن متباينة، تجعلنا نميز بين ثلاثة أفراد، وهي: ابن الإنسان المعين، وابن الإنسان العادي، وابن الإنسان المنقذ، كما يظهر مما يلي:

– **ابن الإنسان المعين:** كما هو الشأن في سفر حزقيال بمعنى ابن آدم ما يزيد على التسعين مرة[32]،

– **ابن الإنسان العادي:** كما وردت في مزامير داوود، إذ قال: ((مَنْ هُوَ اَلإِنْسَانُ حَتَّى تَهْتَمَّ بِهِ ؟ أَوِ "ابْنُ اَلإِنْسَانِ" حَتَّى تَعْتَبِرَهُ))[33]

– **ابن الإنسان المنقذ،** الذي سيأتي في آخر الزمان كذلك المراد في عدد من سفر دانيال، إذ قال: ((وَشَاهَدْتُ أَيْضاً فِي رُؤَى اللَّيْلِ، وَإِذَا بِمِثْلِ ابْنِ اَلإِنْسَانِ مُقْبِلاً عَلَى سَحَابِ حَتَّى بَلَغَ اَلأَزَلِيَّ فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ))[34].

كما وردت عبارة ابن الإنسان في نصوص الأبوكريفا الموازية الأدبي[35]، وثقافات الشرق الأدنى السابقة لميلاد المسيح والموازية له(rites_of_Near_Eastern_peoples)[36]، سيما سفر إينوخ (book_of_Enoch)[37]، والأسفار السبيلية(sibylline_revelation)[38]، وسفر دانيال (the_book_of_daniel)، وسفر رفع موسى (assumption_of_moses)[39]، وغيرها، تخبر جميعها عم مجيء ابن الإنسان الجالس عن يمين الرب، الذي سيأتي في سحب من السماء إلى أورشليم، ليخلصها مما هي فيه من ضيم، رب السبت، وقاهر الروم[40].

ولقد تكررت عبارة 'ابن الإنسان' كثيرا في الأناجيل الأربعة[41]، ورغم تعدد السياقات، إلا أن جميع الكنائس تعتقد أن المراد بها هو المسيح في كل السياقات، استخدم بدافع من التواضع وليس الجانب[42]. ولم ترد في نظر بعضهم بمعنى ابن آدم مطلقا إلا مرتين بإنجيل يوحنا الحالي على لسان الجمع[43]، في قوله: ((فَأَجَابَهُ الجمعُ: »عَلِّمْتَنَا الشَّرِيعَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى حَيّاً إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ لاَبُدَّ لاِبْنَ الإِنْسَانِ أَنْ يرْتَفِعَ؟ مَنْ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ هَذَا؟))[44].

و لقد أطلقت عبارة ابن الإنسان في باقي أسفار العهد الجديد على المسيح[45]، ولا يستثني التفسير المسيحي إلا ما ورد عددين[46]، ورد أحدهما في أعمال الرسل(56/7)، وورد الثاني في رسالة إلى العبرانيين (2/6-8)، مع أن الراجح من السياق هو المسيح أيضا.

ولم ترد عبارة 'ابن الإنسان' في الأناجيل بمعنى ابن آدم العادي إلا مرتين في يوحنا على لسان الجمع[47]، في قوله: ((فَأَجَابَهُ الجمعُ: »عَلِمْنَا الشَّرِيعَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى حَيّاً إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ لاَبُدَّ لابْنَ الإِنْسَانِ أَنْ يرْتَفِعَ؟ مَنْ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ هَذَا؟))[48]

وإذا قارنا ورود لقب ابن الإنسان في الأناجيل المتوافقة'gospels_synoptic' بباقي الألقاب المسيحية كلقب المسيح أو الابن أو ابن الله، يتبين أن ورود هذه لا يزيد في كل مرة عن عدد الأصابع، بينما لقب ابن الإنسان ينال الحظوة كما أشرنا آنفا، فقد بلغ الثلاثين في إنجيل مرقس، و(13)في إنجيل الأقوال(Q) و(8) في المادة الخاصة بإنجيل متى(M)، و(6) في المادة الخاصة بإنجيل لوقا(L)، و(12) في إنجيل يوحنا[49].

والتفسير المسيحي يرى أن المنقذ المنتظر المشار إليه في العهد القديم هو المسيح، وهوا المراد بابن الإنسان حيثما ورد ذكره في الأناجيل الأربعة[50]، وفاتهم أن صفات مسيح الأناجيل تخالف صفات المنقذ في العهد القديم، فبينما الأول ضعيف لين الجانب، لا يجد أرضا تسنده ولا مكانا يضع عليه رأسه، إذ ابن الإنسان في العهد القديم ذي قوة فائقة وقدرة الخارقة على تدمير الملوك، كما بينا آنفا.

ولقد استخدم المسيح حسب الأناجيل عبارة ابن الإنسان في ثلاث سياقات مختلفة، احتفت في كل سياق بقرائن مميزة، تفرق بين ثلاثة أنواع وهي:

ابن الإنسان المنقذ المنتظر ابن الإنسان المسيح يسوع ابن الإنسان المصلوب

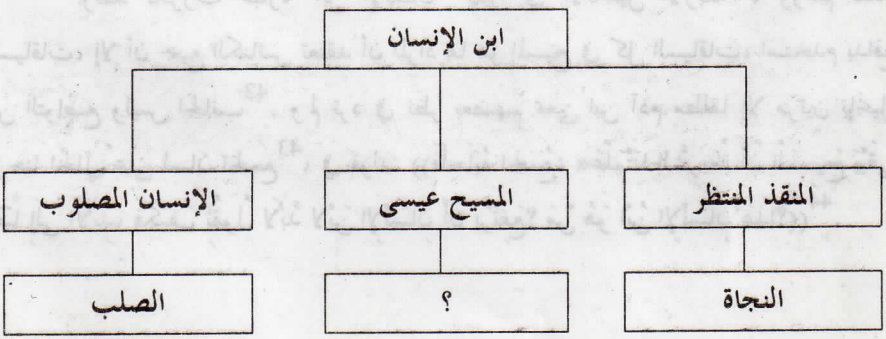

1 - ابن الإنسان المنقذ المنتظر، الذي سيأتي في سحب من السماء إلى أورشليم[51] فيخلصها مما هي فيه من جور الحكام[52]، ويقيم ملكوت الله على أرضها، وسيجلس عن يمين الله جل وعلا[53]، وسيذهب إلى مجد الله[54].

وبالتتبع يتبين أن المسيح لم يستخدم حسب الأناجيل القانونية أي لقب من ألقابه للإشارة إليه، وإنما اكتفى بعبارة 'ابن الإنسان'، ولا يغيب على مقارن أن صورة المنقذ فالتي الأناجيل تتطابق مع صفات المخلص كما يشير إليه العهد القديم ونصوص الأبوكريفا[55]، وهذا ما يجعلنا نرد عدم تمييز التفسير المسيحي بين بين ابن الإنسان المنقذ وابن الإنسان المسيح، ولالادعاء بأنهما شخص واحد[56].

2 - ابن الإنسان المسيح: يتبادر من نصوص الأناجيل أن المسيح قد يشير إلى نفسه بابن الإنسان، ومن ذلك قولها: ((أَيُّهُمَا الأَسْهَلُ: أَنْ يُقَالَ: قَدْ غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلَكِنِّي (قُلْتُ ذَلِكَ) لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ سُلْطَةَ غُفْرَانِ الْخَطَايَا.))[57]، وقولها: ((فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ تَفْرَغُوا مِنْ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ))[58]، والسياق دال على أن المسيح هو المعني هنا بابن الإنسان، ومع ذلك فيوجد بعض النقاد الذي يرون أن المراد بابن الإنسان هنا هو المنقذ لا المسيح[59]، ويعترض على سبب اختصاص هذا اللقب على المسيح؛ لأنه إذا كان عيسى ابن يوسف النجار، وكان له أربعة إخوة وعدة أخوات متزوجات كما تروي الأناجيل؛ فلماذا يكون وحده حاملا لهذا اللقب الغريب((ابن الإنسان))، وهو ينطبق على كل البشر)[60]، الحقيقة ان المسيح لم يكن قادرا قط على اتخاذ لقب 'بارناشا' أو 'ابن الإنسان' لنفسه، لأنه يعلم دلالاته في الوسط اليهودي، ولو فعلها لقضى على نفسه، ولصار سخرية بين الصغير والكبير[61].

وما اتضح من تفريق بين ابن الإنسان المنقذ وابن الإنسان المسيح كان محل سؤال النبي يوحنا المعمدان، حتى أنه قد أرسل تلامذته إلى المسيح سائلا:((أَأَنْتَ هُوَ الآتِي، أَمْ نَنْتَظِرُ غَيْرَكَ؟ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: اذْهَبُوا أَخْبِرُوا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعُونَ وَتَرَوْنَ: الْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يُقَامُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ.

وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَشُكُّ فِيَّ))[62]، ويظهر من النص أن المسيح لم يجب إجابة قاطعة على سؤال يوحنا، ولو كان هو المنقذ المنتظر حقا، لجزم.

3 – ابن الإنسان المصلوب: عرفنا من العنصر السابق أن المسيح في نبوءاته حول الصلب أشار إلى المصلوب بعبارة ابن الإنسان، ولم يستخدم أي لقب من ألقابه، كما لم يقرن ابن الإنسان بأي واحد منها رغم تعدد سياقات ورودها؛ فلم يرد في واحد منها بلقب المسيح[63]، أو لقب ابن الله[64]، أو الابن فقط[65]، أو الحمل[66]، أو ابن داوود[67]، ابن مريم[68]، ولا غيرها من الألقاب التي أطلقتها الأناجيل القانونية عليه؛ مما يجعلنا في حيرة من تعيين هوية المراد، وهذا ما شعر به الحواريون ورغم ملابستهم لنبوءة المسيح عن نهايته، ومع ذلك فقد غم المعنى عليهم، وقد نصت الأناجيل أنهم ما عرفوا هوية المراد، وكادوا أين يسألوه لولا هيبة الموقف، ولم يخطر على بالهم قط أن المراد بان الإنسان هو المسيح مع أنهم أقرب الناس إليه، وأعلم الرواة بأحاديثه، وأخبر الناس بسياق الخطاب المقيل، ويتجلى ذلك من العددين التاليين:

1°. قال مرقس: ((يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَيُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ، فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ قَتْلِهِ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ.))[69].

2°. قال لوقا: ((قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: لِتَدْخُلْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ آذَانَكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ عَلَى وَشْكِ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ! إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا هَذَا الْقَوْلَ، وَقَدْ أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ))[70].

ويظهر من سؤال الرسل أنهم لم يفهموا أن المصلوب هو المسيح، كما لم يفهموا أنه هو ابن الإنسان المنقذ، وهذا ما يتأكد مما رواه يوحنا في إنجيله عن جمع من الناس أنهم سألوا المسيح عن هوية ابن الإنسان المراد قبيل وقوع الصلب، لما قال المسيح: ((اَلْيَوْمَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ! وَالْيَوْمَ يُطْرَدُ سَيِّدُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً! وَأَنَا مَتَى ارْتَفَعْتُ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ جَذَبْتُ إِلَيَّ النَّاسَ أَجْمَعِينَ، قَالَ هَذَا مُشِيراً إِلَى الْمِيتَةِ الَّتِي سَيَمُوتُهَا. فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ: عَلَّمَتْنَا الشَّرِيعَةُ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى حَيّاً إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ لاَبُدَّ لابْنِ الإِنْسَانِ أَنْ يَرْتَفِعَ؟ مَنْ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: سَيَبْقَى النُّورُ مَعَكُمْ وَقْتاً قَلِيلاً. فَامْشُوا مَادَامَ النُّورُ لَكُمُ النُّورُ، لِئَلاَّ يُبَاغِتَكُمُ الظَّلاَمُ))[71]، وهذا ما يثبت أن سبب عدم فهم الحواريين لقول المسيح، وعدم إدراك الجمع لهوية المصلوب أنهم قد تبينوا من نصوص الشريعة –أي العهد القديم– أن ابن الإنسان المنقذ يقهر و لا يُقهَر كما أشرنا آنفا، وان المسيح سينجو، لا يمسه أذى ولا يلحقه ضير،

ولهذا لم يحملوا ابن الإنسان على أحد منها، و لم يبق عندهم إلا احتمال وجود ابن إنسان ثالث يصلب، ولكن لماذا يصلب؟ ماذا فعل حتى استحق القتل؟ وهي كلها أسئلة لا يمكن أن يجيب عنها أحد سوى المسيح.

خاتمة:

نخلص لما يلي:

1. تأكد لدينا أن المسيح لم يتنبأ في الأناجيل بصلبه، ولا حدث به أصحابه، وإنما أكد ان ابن الإنسان سيصلب.

2. تبين أن ابن الإنسان يحتمل ثلاثة معان: الإنسان العادي، المسيح، وابن الإنسان المنقذ، وابن الإنسان المصلوب، والأول متعذر للشيوع، والثاني لوجود القرائن الداحضة والتي أشرنا إليها، والثالث للاستحالة بشهادة الكتاب المقدس، فلم يبق إلا الرابع.

3. تبين من البحث أن ابن الإنسان هو مصطلح راج في الأدبيات اليهودية والآبوكريفية القديمة، وصار هاجسا شعبيا ودينيا ويتغنى به، ويدعى الله أن يعجل به، انتظره الرسل، وسأل عنه يوحنا المسيح، فأجاب أني لست أنا، ولكن انظروا، آمل أن أبحث عن قرائن تحديد هويته في بحث لاحق.

4. تأكد أن المسيح حسب الاناجيل ما تنبأ بصلبه، وإنما تنبأ بصلب رجل آخر، الأمر الذي يحتاج مزيدا من النظر في الكتاب المقدس لتحديد هويته.

5. إن ما توصلت إله من نتائج ليس غريبا ليس غريبا على البحث العلمي المعاصر، يقول البروفيسور Geza Vermes ما يلي: (لم يكن النصارى يعتقدون بقصة آلام المسيح ولا بقصة صلبه،و إن أحداث محاكمة المسيح من قبل المحكمة اليهودية العليا بتهمة دينية، وصدور الحكم عليه ثم تصديقه من السلطة السياسية، كل هذه الأحداث خارج نطاق الالتباس والريبة[72].

الهوامش:

[1] *The Catholic Encyclopedia, (new york:* Robert Appleton Company Online Edition Copyright,in ((www.newadvent.or/cathen)), 2003*), Volume XIV,((son of man))*

[2] راجع الإصحاحات الأخيرة منه

[3] *The Catholic Encyclopedia, Volume XIV,((son of man))*

[4] Ibid

[5] Ibid

[6] Ibid

[7] ومن ذلك كتاب الباحث عبد الحكيم فرحات، داوود وصلب المسيح، قراءات نقدية في نبوءات العهد القديم (قيد النشر)

[8] The prophet Enoch, *The son of the God,*(USA : The Nazarene Way of Essenic Studies. In Web. site www.thenazareneway.com))

[9] Ibid

[10] راجع متى في أربعة مواضع(متى21/16-22، متى17/20-19، متى1/26-5، ومتى24/26-25)، و مرقس في ثلاثة مواضع(مر31/8-33، مر30/9-32، مر32/10-34)، و مثله في العدد لوقا: (لو22/9، ولو43/9-45، ولو31/18-34)، و يوحنا في ثلاثة مواضع (يو14/3-15، يو34/12-36، ويو31/12-36)

[11] يو31/12-32

[12] متى23/16

[13] الكتاب المقدس، النسخة التفسرية، ط4

[14] يو31/12-32

[15] راجع مثلا: الإنجيل، العهد الجديد، الترجمة العربية المشركة،ط4 (بيروت: جمعية الكتاب المقدس،1997)، ص47

[16] متى23/16

[17] مر31/8-33

[18] لو22/9

[19] راجع مثلا: الإنجيل، العهد الجديد، الترجمة العربية المشركة،ط4 (بيروت: جمعية الكتاب المقدس،1997)، ص47

[20] تستخدم الشاهد بالمعنى الحديثي، أي رواية أخرى معضدة للرواية المدروسة

[21] مر30/9-32

[22] لو43/9-45

[23] يو34/12-36

[24] متى23/16

[25] روى متى أن المسيح أخبر مرة ثانية عن موت ابن الإنسان ما نصه: ((وَفِيمَا كَانُوا يَتَجَمَّعُونَ فِي الْجَلِيلِ، قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى وَشْكِ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ، فَيَقْتُلُونَهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقَامُ. فَحَزِنُوا حُزْناً شَدِيداً))[متى17/ 22-23]، و ننوه هنا بإشارته إلى حزن الرسل التي تشر إليها باقي الاناجيل، ووالأدهى أنها أبانت عما ينقضه؛ أي عدم فهم الحواريون والأصحاب لما يعنيه المسيح بقوله الآنف

[26] يو9/20

[27] مر8/31-33

[28] عبد الأحد داوود، محمد في الكتاب المقدس، تر: فهمي شما،(قطر: دار العلوم للطباعة، 1989)، ص232، وأيضا:
Graham, *The Gospels and Jesus*, pp. 227-230

[29] Graham, *The Gospels and Jesus*, pp. 227-230

[30] المصدر السابق

[31] المصدر السابق

[32] راجع على سبيل المثال حز2/2

[33] مز8/ 4

[34] داوود13/7

[35] *The Catholic Encyclopedia, Volume XIV,((son of man))*

Philip B. Lewis (CrossTalk - 27 Nov 1998) [36]

[37] The prophet Enoch, *The book of Enoch*, ed by ; R.H.Charles,(USA : The Nazarene Way of Essenic Studies,(www.thenazareneway.com))

[38] The prophet Enoch, *sibylline revelation*, ed by ; R.H.Charles,(USA : The Nazarene Way of Essenic Studies,(www.thenazareneway.com))

[39] The prophet Enoch, *assumption of moses*, ed by ; R.H.Charles,(USA : The Nazarene Way of Essenic Studies,(www.thenazareneway.com))

[40] *The Catholic Encyclopedia, ((son of man))*

[41] استخدمت عبارة ابن الإنسان 32 مرة في متى، و15 مرة في مرقس، و20 في لوقا، و12 مرة في يوحنا، وهي:
متى: 20/8، 5/9و6، 23/10، 19/11، 8/12، 32/12، 40/12، 37/13، 41/13، 13/16-17، 27/16، 16/28، 9/17، 12/17، 22/17و23، 28/19، 18،19/20، 28/20، 27/24، 30/24(2)، 37/24، 39/24، 24/44، 31/25، 2/26، 2/26، 24/26(2)، 45/26، 64/26.
مرقس: 10/2، 28/2، 31/8، 38/8، 9/9، 12/9، 31/9، 34/10،33، 45/10، 26/13، 21/14(2)، 41/14، 62/14.
لوقا: 24/5، 5/6، 22/6، 34/7، 22/9، 26/9، 44/9، 58/9، 30/11، 8/12، 10/12، 40/12، 22/17، 17/24، 26/17، 30/17، 8/18، 31/18-33، 10/19، 27/21، 36/21، 22/22، 48/22، 24/22،69//7
يوحنا: 51/1، 13/3، 14/3، 27/5، 27/6، 53/6، 62/6، 28/8، 35/9-38، 23/12، 1234(2)، 31/13

[42] Toby Jepson, The Son of Man, A Study in a title of Jesus, study from internet (USA : (http://debate.org.uk/topics/apolog/home.htm), 2005)

[43] راجع: محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، ط3،(بيروت – دمشق: دار الفكر)، ص207، وما أشار إليه من تشكك النقاد حول ضبط هذا العدد، واحتمال وجود تحريف فيه، وهو جدير بالاعتبار.

[44] يو12/34

[45] راجع: جدول الشروح الملحق بالإنجيل،الترجمة العربية المشركة،ط4 (بيروت: جمعية الكتاب المقدس،1997)،ص711

[46] المصدر السابق.

[47] راجع: محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، ط3،(بيروت – دمشق: دار الفكر)، ص207، وما أشار إليه من تشكك النقاد حول ضبط هذا العدد، واحتمال وجود تحريف فيه، وهو جدير بالاعتبار.

[48] يو34/12

[49]*Graham,* The Gospels and Jesus, *pp.* 227-230 and The Catholic Encyclopedia, ((son of man))

وننبه هنا إلى أن مصطلح المراد بالمادة الخاصة بأحد الأناجيل هو اصطلاح نقدي حديث ناشيء عن نظرية الأناجيل المتوازية الثلاثة متى و مرقس ولوقا، يراد به الأعداد التي تفرد بها أحد الأناجيل.

[50]*The Catholic Encyclopedia, ((son of man))*

[51] مت30/24، مر26/13، لو27/21

[52] مت27/16، مر38/8، لو26/9

[53] مت64/26، مر62/14، لو69/22

[54] مت27/16، مر38/3، لو26/9

[55]Graham N. Stanton, *The Gospels and Jesus*, The Oxford Bible Series(1989), paperback, pp227, 230

[56]*The Catholic Encyclopedia, ((son of man))*

[57] متى5/8

[58] مت23/10

[59] داوود، محمد في الكتاب المقدس، ص231 و راجع: فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، ص193–212

وأيضا:

The prophet Enoch, *The son of the God,*(USA : The Nazarene Way of Essenic Studies. In Web. site www.thenazareneway.com))

[60] داوود، محمد في الكتاب المقدس، ص231

[61] المصدر السابق، ص230–239

[62] مت3/11–5

[63] مت16/16

[64] مت23/14، 16/16، ويو27/11 مثلا

[65] يو19/5، 20، 21 مثلا

[66] يو29/1، 36 مثلا

[67] مت44/22 مثلا

[68] مت55/13، 56 مثلا

[69] مر30/9–32

[70] لو43/9–45

[71] يو31/12–35

[72] -Vermes JTJ p.36,38